

رسالة أبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي

في

القول في النفس المختصر من كتاب أرسطو وفلاطن وسائر الفلاسفة

مقدمة

هذه الرسالة توجد ضمن مجموعة رسائل في الحكمة ، هي مخطوط رقم ٥٥
بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية من ص ٦٣ - ٧٦ . وقد نبت إليها
منذ أكثر من عشر سنين ، فلم يُعَنَ بها أحدٌ ؛ فأحببت أن أنشرها مع هذه
الرسائل في مكانها الطبيعي . حتى تكون تحت نظر القارئ . قبل رسالة الكندي
في ماهية النوم والرؤيا .

وهذا المخطوط التيموري في ذاته غامض التاريخ ، وهو بخط غير قديم العهد ،
وليس عليه من الإشارات ما يدل على زمانه ولا على تداوله بين أيدي العلماء .
وهو منقوط ، ورغم وجود تصحيحات على هامشه أحيانا فإن فيه أخطاء كثيرة ،
صححت بعضها دون إشارة أحيانا ، لأن النسخ غير دقيق ، وهو يقع في أخطاء
صوابها بديهي ، ولم أشر إلى ما أصلحته أحيانا ، خصوصا في المواضع التي تجب
فيها المطابقة بين الفعل والفاعل من حيث التذكير والتأنيث .

هذه الرسالة فيها روح الكندي وأسلوبه ؛ فهي تبتدى بالابحاج العادية
المتضمنة للدعاء ، وتنتهى بمثل ما تنتهى به رسائل الكندي الأخرى ؛ هذا إلى
أن فيها بعض الآراء التي نجدتها في رسالة الكندي التالية في ماهية النوم والرؤيا ،
وفيها نعمة يسيرة من رسالة الكندي في دفع الأحزان .

وإذا صرفنا النظر عن العنوان ؛ فإن الكندي يعتبر رسالته مختصرة لقول
الفلاسفة ولقول أرسطو في النفس .

ولما كانت مختصرة سهلة مفهومة في الغالب ، ولما كانت غير محتوية على كثير

من أنواع الاستدلال ، فقد وجدت في ذلك ما يُغنى عن الإطالة في كتابة مقدمة تحليلية لها ، واكتفيت بالإشارة إلى ما تحويه بالأجمال :

النفس جوهر بسيط ، شريف الطبع جوهرها من جوهر الله ، فيها روح منه ، وهي نور من نوره ، هي منه كالضياء من الشمس ؛ مستقلة عن الجسم ، تعارض القوتين الشهوانية والغضبية ، وتضبطهما عند حدود لا تصح مجاوزتهما ؛ فهي أشرف وأعلى ما في الإنسان — ويقصد الكندي النفس الناطقة بطبيعة الحال .

هذه النفس ، حتى وهي في البدن ، تتجاوز في المعرفة حدود البدن الضيقة ، كما تتجاوز حدود العالم المحسوس ؛ فتعلم الحقائق والأسرار ، وذلك إذا تجرد صاحبها من الماديات وتفرغ للنظر والبحث . حتى إذا فارقت البدن ، انكشفت لها جميع الحقائق ، وصارت في «عالم الحق» أو «عالم العقل» أو «عالم الديمومية» — كما يعتبر الكندي — وصار صاحبها قريب الشبه بالله في صفاته ، واكتسبت هي قدرة من قدرة الله ، لكن في مرتبة دون مرتبته . وهي في هذا المقام ترى الباري وتحاذي مرآتها نوره ووجوده ، فتجلى فيها الحقائق ، منعكسة من وجودها الحق ، وترى بنور الله كل ظاهر وخفي . ولا يعوقها عن ذلك إلا الاشتغال بالشهوات البدنية ؛ فإذا انصرف عنها وعكفت على النظر — وهذا هو الشرط الأساسي — انصقلت عند ذلك مرآتها ، وتقبلت النور الإلهي ، فتصورت به وظهرت فيها الحقائق .

هذه النفس في يقظة دائمة ؛ وكل ما في النوم أن النفس فيه تترك استعمال الحواس ، وتنقبض في ذاتها . ولو كانت تنام هي أيضا ، لسقط كل ما في النوم من الوعي النفسى سقوطا تاما أو — كما يقول الكندي — لما عرف الإنسان ما في النوم أنه في النوم ، وانعدم التمييز بين النوم واليقظة ؛ فحياتها فكر متيقظ دائما ؛ وإن كان يعرض فيه نوم الحواس ، فالنفس لا تنام .

والنفس — عند نوم الحواس — ترى العجائب ، وتتصل بالأرواح التي

عبثت إلى عالم الحق ، وتلتذت بما يغمرها جميعاً من نور الله ورحمته لذة « إلهية روحانية ملكوتية » سامية ، تفوق كل لذات الحس الدنيا .
والإنسان في هذا العالم الذي نحن فيه عابر سبيل إلى العالم الشريف الأعلى ؛
حتى إذا فارقت النفس بدنّها ، انتقلت إلى « عالم الربوبية » ، « مسكن الأنفس العقلية » ، خلف السموات ، حيث النور الإلهي . ولكن لا بد لها أن تتدرج في
مراتب النقاء طوراً عن طور ، تقيم في كل مرتبة مدة تصفو فيها ، حتى تبلغ حالة
الصفاء الخالص ؛ وعند ذلك تدخل العالم الإلهي . حيث تعلم كل شيء . وتلتذت بما
يفوضه لها الباري من سياسة الأشياء الدنيا
ويحتم الكندي رسالته بأن ينبه الجاهل الغافل إلى العناية بنفسه . وفي هذه
الرسالة — كما نرى ، وكما يدل عليه ذكر الأسماء — من نزعة فيثاغورس وأفلاطون
أكثر بكثير مما فيها من نزعة أرسطو .

(ص ٦٣) رسالة أبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي

في

القول في النفس ، المختصر من كتاب أرسطو وفلاطون^(١) وسائر الفلاسفة

سَدِّدْكَ اللهُ بِدَرْكِ^(٢) الْحَقِّ ، وَأَعَانِكَ عَلَى نَيْلِ مَسْتَوِ عِرَاتِهِ !
إِنَّهُ سَأَلَتْ ، أَسْعِدْكَ اللهُ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ ! أَنْ اخْتَصَرَ لَكَ قَوْلًا فِي النَّفْسِ ،
وَأَتَى عَلَى الْغَايَةِ الَّتِي إِلَيْهَا جَرَى^(٣) الْفَلَاسِفَةُ فِي ذَلِكَ ، مَعَ اخْتِصَارِ لِكِتَابِ

(١) هكذا في الأصل (٢) في رسائل الكندي الأخرى محذوف يؤثر عبارة : لندرك

(٣) في الأصل : أجري

أرسطو في النفس ؛ ولست أوجهداً في استعمال البلوغ إلى محابك والمبادرة إلى ما سألت ، بتلخيص كافٍ وفحص شافٍ ، إن شاء الله تعالى ؛ وبه القوة ، فأقول :

إن النفس بسيطة ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ؛ جوهرها من جوهر الباري عز وجل ، كقياس ضياء الشمس من الشمس .

وقد بين^(١) أن هذه النفس منفردة عن هذا الجسم مباينة له ، وأن [٦٤] جوهرها جوهر إلهي روحاني ، بما يرى من شرف طباعها ومضادتها لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب .

وذلك أن القوة الفضبية قد تتحرك^(٢) على الإنسان في بعض الأوقات ، فتحمله^(٣) على ارتكاب الأمر العظيم ؛ فتضادها^(٤) هذه النفس ، وتمنع^(٥) الغضب من أن يفعل فعله ، أو أن يرتكب الغيظ وترته^(٦) ، وتضبطه ، كما يضبط الفارس الفرس ، إذا هم أن يسمح به ، أو يمدد^(٧) . وهذا دليل بين على أن القوة التي يقضب بها الإنسان غير هذه النفس التي تمنع الغضب أن يجرى إلى ما يهواه ؛ لأن المانع ، لا محالة ، غير الممنوع ؛ لأنه لا يكون شيء واحد يضاد نفسه ؛ فأما القوة الشهوانية فقد تنوق في بعض الأوقات إلى بعض الشهوات ، ففسكر^(٨) النفس العقلية في ذلك أنه أخطأ وأنه يؤدي [٦٥] إلى حال رديئة ، فتتمنع^(٩) عن ذلك وتضادها ؛ وهذا أيضاً دليل على أن كل واحدة^(١٠) منهما غير الأخرى .

(١) لعله يقصد أرسطو أو لعل هنا تحريفاً .

(٢) و (٣) في الأصل : يتحرك ، فيحمله — ومن طريقة القدماء أحياناً ، وقد صححتها

في مواضع كثيرة مما يلي دون إشارة

(٤) و (٥) في الأصل : فيضادها ، وتمنع ويضبط ؛ وهذا مثال مما سأضرب عن الإشارة إليه

(٦) وتره يتره وتره وتره ، أي جنى عليه ظمأ يبعث الحقد ورغبة الأخذ بالكار ؛ والقصود

أن النفس تمنع من إرسال العنان للغيظ وما ينشأ عنه من الانتقام عن شعور عنيف

(٧) هكذا في الأصل ، ولم أجده لهذا وجهاً مرضياً . وفي اللغة : مد الشيء جذبته . وإن

كانت تحريفاً ففي اللغة : مرّ البعير شد عليه الحبل ؛ ومادله مما ذوق وأمداه إمداء أمل له وأمله

(٨) و (٩) هكذا في الأصل : وقد تركتهما

(١٠) في الأصل : واحد ، وهي مزيدة بهاء من الأصل

وهذه النفس التي هي من نور الباري ، عز وجل ، إذا هي فارقت البدن ، علمت كل ما في العالم ، ولم يخف^(١) عنها خافية ؛ والدليل على ذلك قول أفلاطون ، حيث يقول إن كثيراً من الفلاسفة الطاهرين القدماء ، لما يتجرد^(٢) [من] الدنيا ، وتهاونوا بالأشياء المحسوسة ، وتفرّدوا بالنظر والبحث عن حقائق الأشياء ، انكشف لهم علم الغيب ، وعلموا بما يخفيه الناس في نفوسهم ، واطّلعوا على سرائر الخلق .

فإذا كان هذا هكذا ، والنفس بعد مرتبطة بهذا البدن في هذا العالم المظلم الذي لولا نور الشمس لكان في غاية الظلمة ، فكيف إذا تجرّدت هذه النفس ، وفارقت البدن ، وصارت في عالم الحق الذي فيه نور الباري سبحانه ! ؟

[٦٦] ولقد صدق أفلاطون في هذا القياس وأصاب به البرهان الصحيح .
ثم [إن] أفلاطون أتبع هذا القول بأن قال : فأما من كان غرضه في هذا العالم التلذذ بالآكل والمشرب المستحيلة إلى الجحيف ، وكان أيضاً غرضه في لذة الجماع ، فلا سبيل لنفسه العقلية^(٣) إلى معرفة هذه الأشياء الشريفة ، ولا يمكنها الوصول إلى التشبه بالباري سبحانه .

ثم إن أفلاطون فاس^(٤) القوة الشهوانية التي للإنسان بالخنزير ، والقوة الغضبية بالكلب ، والقوة العقلية التي ذكرنا بالملك ، وقال : من غلبت عليه الشهوانية ، وكانت هي غرضه وأكثرت همته ، فقياسه قياس^(٥) الخنزير ؛ ومن غلبت عليه الغضبية ، فقياسه قياس الكلب ؛ ومن كان الأغلب عليه قوة النفس العقلية ، وكان أكثر أذنه^(٦) الفكر والتمييز ومعرفة حقائق

(١) هكذا في الأصل

(٢) هكذا النص وفيها يلى — وقد أبقيته على حاله ، وكل ما بين القوسين زيادة إيضاحية قياساً على مواضع من الرسالة نفسها

(٣) يعنى النفس الناطقة (٤) يعنى شبيهه أو قارن أو مثل

(٥) يعنى قتله مثل .

(٦) هكذا في الأصل — وقد أبقيتها على أنها يجوز أن تكون لغة في الدأب (يعنى الجلد والتعب أو العادة والشأن) ؛ والفتل المكانى معروف في لغة العرب . ويجوز على كل حال أن تكون الأدب ، بمعنى الرياضة المؤدية إلى فضيلة .

الأشياء والبحث عن [٦٧] غوامض العلم ، كان إنساناً فاضلاً قريب الشبه من
البارى سبحانه ؛ لأن الأشياء التي نجدها للبارى ، عز وجل ، هي الحكمة والقدرة
والعدل والخير والجميل ^(١) والحق . وقد يمكن للإنسان أن يدبر نفسه بهذه الحيلة
حسب ما في طاقة الإنسان ، فيكون حكماً ^(٢) ، عدلاً ، جواداً ، خيراً ، يؤثر
الحق والجميل ، ويكون بذلك كله بنوع دخل ^(٣) (دون) النوع الذي للبارى
سبحانه ، من قوته وقدرته ، لأنها إنما اقتبست من قريبها (قوته) ^(٤) قدرة
مشاكلته لقدرته ؛

فإن ^(٥) النفس على رأى أهلاطن وجلة الفلاسفة باقية بعد الموت ، جوهرها
كجوهر البارى عز وعلا ^(٦) ؛ في قوتها — إذا تجردت — [أن] تعلم سائر
الأشياء ^(٧) ، [كما] يعلم البارى بها أو دون ^(٨) ذلك برتبة يسيرة ، لأنها أودعت
من نور البارى ، جل وعز .

وإذا تجردت وفارقت هذا البدن وصارت في [٦٨] عالم العقل فوق القلوك ،
صارت في نور البارى ، ورأت ^(٩) البارى عز وجل ، وطابقت ^(١٠) نوره ، وجلت ^(١١)

(١) هكذا في الأصل ، وهو استعمال للصفة في معنى الاسم

(٢) في الأصل حلياً

(٣) هكذا في الأصل — فإن لم تكن محتاجة إلى تصحيح ، فلعل المقصود بذلك أن ما للانسان
من تلك الصفات داخل فيما لله ، أى هو أقل منه . ومما يرجع هذا أننا نجد في الأصل
فوق كلمة : دخل ، كلمة : دون ؛ ويؤيده أيضا الكلام التالى .

(٤) في الأصل هكذا : فتها — ولا وجه لها . وقد صححت على الهامش هكذا : قوتها
أو قربها ، لكن بدون نقط ، فلعلها : قربها — يعنى من الله — أو هى معرفة عن
قوته — يعنى قوة الله .

(٥) تحت هذه الكلمة في الأصل كلمة : فإنها

(٦) في الأصل : لاسيا

(٧) في الأصل : على

(٨) في الأصل : وذات

(٩) فوقها في الأصل كلمة : دخل

(١٠) مطابق فلان فلانا واقفه ، ومطابقه على الأمر ساواه ، ومطابق بين الشئين جعلهما

على حد واحد ، ومطابقا اثنين اثنينا وتساوبا .

(١١) جل جلالة وجلالا يعنى عظم وارتفع .

في ملكوته ، فانتكشف لها ح^(١) علم كل شيء ، وصارت الأشياء كلها بارزة لها ،
كمثل ما هي بارزة للباري عز وجل ؛ لأننا إذا كنا ، ونحن في هذا العالم الدنس ،
قد نرى فيه ^(٢) أشياء كثيرة بضوء الشمس ، فكيف إذا تجردت نفوسنا ، وصارت
مطابقة لعالم الديمومية ، وصارت تنظر بنور الباري ! فهي لا محالة ترى بنور الباري
كل ظاهر وخفي ، وتقف على كل سر وعلاية .

وكان أفسقورس ^(٣) يقول : إن النفس : إذا كانت : [و] هي مرتبطة بالبدن ،
تاركة للشهوات ، متطهرة من الأدناس ، كثيرة البحث والنظر في معرفة حقائق
الأشياء ، انصقلت صقالة ظاهرة ، واتحد^(٤) بها صورة من نور الباري ، يحدث
فيها ويكمل^(٥) نور الباري ، بسبب ذلك الصقال الذي اكتسبه من التطهر :
حينئذ يظهر فيها صور الأشياء كلها ومعرفتها ، كما يظهر صور خيالات ساير الأشياء
المحسوسة في المرآة إذا كانت صقيلة ؛ فهذا قياس^(٦) النفس ؛ لأن المرآة ، إذا
كانت صدئة^(٧) ، لم يتبين صورة شيء فيها برة ؛ فإذا زال منها الصدا^(٨) ،
ظهرت وتبينت فيها جميع الصور ؛ كذلك النفس العقلية إذا كانت صدئة دنسة ،
كانت على غاية الجهل ، ولم يظهر فيها صور المعلومات . وإذا تطهرت وتهذبت
وانصقلت — وصفا النفس هو^(٩) أن النفس تتطهر^(١٠) من الدنس وتكتسب
العلم — ظهر فيها ح صورة معرفة جميع الأشياء ؛ وعلى حسب جودة صقاتها
تكون معرفتها بالأشياء .

فالنفس كلما ازدادت صقلا ، ظهر لها وفيها معرفة الأشياء .

وهذه النفس [٧٠] لا تنام برة ، لأنها في وقت النوم تترك استعمال الحواس

(١) هكذا هذا الحرف في الأصل وفيما يلي — وقد خطر لي أنه اختصار لكلمة ترادف ما بعده .

(٢) في الأصل : فيها (٣) يقصد فيناغورس في الغالب

(٤) هكذا الأصل ، وقد تركته

(٥) هكذا الأصل ، والمعنى مفهوم بالإجمال (٦) يعني مثال

(٧) في الأصل : صدئة

(٨) في الأصل : زالت فيه الصدى ، وهو أسلوب سقيم لا يصدر عن السكندري

(٩) في الأصل : هي (١٠) في الأصل : يتطهر ، وهو صحيح بحسب المعنى

وَبَقِيَ مَحْصُورَةٌ^(١) ، لَيْسَتْ بِمَجْرُودَةٍ^(٢) عَلَى حَدِّهَا^(٣) ، وَتَعْلَمُ كُلُّ مَا فِي^(٤) الْعَوَالِمِ
وَكُلُّ ظَاهِرٍ وَخَفِيٍّ ؛ وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ النَّفْسُ تَنَامُ ، لَمَا كَانَ الْإِنْسَانُ — إِذَا رَأَى
فِي النَّوْمِ شَيْئًا — يَعْلَمُ أَنَّهُ فِي النَّوْمِ ، بَلْ لَا يَفْرُقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا كَانَ فِي الْيَقَظَةِ^(٥) .

وَإِذَا بَلَغَتْ هَذِهِ النَّفْسُ مَبْلَغَهَا فِي الطَّهَارَةِ ، رَأَتْ فِي النَّوْمِ عَجَائِبَ مِنَ الْأَحْلَامِ ،
وَخَاطِبَتَهَا الْأَنْفُسُ^(٦) الَّتِي قَدْ فَارَقَتْ الْأَبْدَانُ ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا الْبَارِي مِنْ نُورِهِ وَرَحْمَتِهِ ،
تَلْتَذُّ حِينَئِذٍ لَذَّةً دَائِمَةً فَوْقَ كُلِّ لَذَّةٍ تَكُونُ بِالْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ وَالنَّكَاحِ وَالسَّمْعِ
وَالنَّظَرِ وَالشَّمِّ وَالْمَسِّ — لِأَنَّ هَذِهِ لَذَاتٌ حَسِيَّةٌ دَائِمَةٌ ، تُعْقِبُ الْأَذَى ؛ وَتَلْكَ
لَذَّةٌ إِلَهِيَّةٌ وَرُوحَانِيَّةٌ مُلْكُوتِيَّةٌ ، تُعْقِبُ الشَّرْفَ الْأَعْظَمَ . وَالشَّقَى الْمَغْرُورُ الْجَاهِلُ [٧١]
مِنْ رِضَى لِنَفْسِهِ بِلَذَّاتِ الْحَسَنِ ، وَكَانَتْ هِيَ أَكْثَرُ أَغْرَاضِهِ وَمُنْتَهَى غَايَتِهِ .

وَإِنَّمَا نَجَى^(٧) فِي هَذَا الْعَالَمِ فِي شِبْهِ الْمُعْبَرِ^(٨) وَالْجَسَرِ الَّذِي يَخُورُ عَلَيْهِ
السَّيَّارَةُ ، لَيْسَ لَهَا مَقَامٌ يَطُولُ^(٩) ؛ وَأَمَّا مَقَامُنَا وَمُسْتَقَرُّنَا الَّذِي نَتَوَقَّعُ ، [فَهُوَ]
الْعَالَمُ الْأَعْلَى الشَّرِيفُ الَّذِي نَنْتَقِلُ إِلَيْهِ نَفُوسُنَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، حَيْثُ تَقْرُبُ مِنْ
بَارِيهَا ، وَتَقْرُبُ مِنْ نُورِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرَأَى رُؤْيَا عَقْلِيَّةً لَاحِظِيَّةً ، وَبِفَيْضٍ عَلَيْهَا مِنْ
نُورِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ فَهَذَا قَوْلُ اسْقُورُسِ الْحَكِيمِ .

فَأَمَّا أَفَلَاطُنُ فَقَالَ فِي هَذَا^(١٠) الْمَعْنَى إِنَّ مَسْكَنَ الْأَنْفُسِ الْعَقْلِيَّةِ ، إِذَا تَجَرَّدَتْ ،

(١) مَحْصُورَةٌ بِمَعْنَى مَرْكَزَةٌ فِي ذَاتِهَا

(٢) لَيْسَتْ بِمَقَارِفَةٍ لِلْبَدَنِ ، بَلْ فِيهِ لِسْكُنُهَا قَدْ انْجَحَتْ مِنَ الْحَوَاسِ إِلَى الدُّخُولِ

(٣) ، (٤) ، (٥) فِي الْأَصْلِ : عَلِيحْدَتُهَا ، كَلَامًا

فِي ذَاتِهَا

(٥) هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْأَخْبَرَةُ مَعْلُوفَةٌ عَلَى جَوَابِ لَوْ (لَمَا كَانَ الْحُجْ) ؛ وَهِيَ فِي نَفْسِ

الْمَعْنَى . وَإِذَا عَرَفْنَا أَنَّ الْكَائِنِيَّ يُعْتَبَرُ النَّوْمُ فِكْرًا خَالِصًا وَلَوْ مَا لِلْحَوَاسِ ، فَهَمْنَا مَا يُرِيدُ أَنْ

يَقُولَ . وَأَعْلَى الظَّنِّ أَنَّهُ يَقْصِدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ، إِذَا اسْتَيْقَظَ ، عَرَفَ أَنَّهُ كَانَ دَائِمًا وَعَرَفَ

مَا فِي النَّوْمِ أَنَّهُ كَانَ فِي النَّوْمِ ، فَالنَّوْمُ وَعَمَى نَفْسِي وَفِكْرِي بِوَأَسْلِ الْيَقَظَةِ نَحْتُ لِإِشْرَافِ النَّفْسِ

عَلَيْهَا مَا ؛ أَمَّا النَّوْمُ فَهُوَ نَوْمُ الْحَوَاسِ فَقَطْ — رَاجِعِ الْمَقْدِمَةَ ص ٢٧١ ، وَرَاجِعِ الرِّسَالَةَ الثَّلَاثِيَّةَ

فِي مَاهِيَةِ النَّوْمِ وَالرُّؤْيَا .

(٦) عَلَى الْبَاءِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ شِدَّةٌ ، فِي الْأَصْلِ :

(٦) فِي الْأَصْلِ : يَحْيَى .

(٨) فِي الْأَصْلِ : تَطْلُوعٌ ، وَعَلَى الْعِلَاءِ شِدَّةٌ — وَهُوَ خَطَأٌ

(٩) فِي الْأَصْلِ : هَذِهِ

هو — كما قالت الفلاسفة القدماء — خلفَ الفلك في عالم الربوبية ، حيث نور الباري .

وليس كل نفس تفارق البدن تصير^(١) من ساعتها إلى ذلك المحل ، لأن من [٧٣] الأنفس ما يفارق البدن ، وفيها دنس وأشياء خبيثة ؛ فمنها ما يصير إلى فلك القمر ، فيقيم هناك مدة من الزمان ، فإذا تهذبت ونقيت^(٢) ، ارتفعت إلى فلك العطار ، فتقيم هناك مدة من الزمان ؛ فإذا تهذبت ونقيت ارتفعت إلى فلك كوكب [أعلى]^(٣) ، فتقيم في كل فلك مدة من الزمان ؛ فإذا صارت إلى الفلك الأعلى ونقيت غاية النقاء ، وزالت أدناس^(٤) الحسّ وخيالاته وخبثه منها ارتفعت ح^(٥) إلى عالم العقل ، وجازت الفلك ، وصارت في أجل محلّ وأشرفه ، وصارت ح بحيث لا تخفى عليها خافية ، وطابقت نور الباري . وصارت تعلم كل الأشياء قليلها وكثيرها ، كعلم الإنسان بإصبعه الواحدة أو بظفره أو بشعره من شعره ، وصارت الأشياء كلها مكشوفة بارزة لها ، وفوض إليها^(٥) الباري . أشياء من سياسة العالم تلتذ بفعلها والتدبير لها . ونعمري لقد وصف أفلاطن وأوجز وجمع في هذا الاختصار معاني كثيرة .

ولا واصله^(٦) إلى [٧٣] بلوغ النفس إلى هذا المقام والرتبة الشريفة في هذا العالم^(٧) وفي ذلك العالم إلا بالتطهير من الأدناس ؛ فإن الإنسان إذا تطهر من الأدناس صارت نفسه ح صقيلة تصلح وتقدر أن تعلم الخفيات من الغيوب ؛ وقوة هذه النفس قريبة الشبه بقوة الإله تعالى شأنه ، إذا هي تجردت عن البدن وفارقتة وصارت في عالمها الذي هو عالم الربوبية .

(١) في الأصل : يفارق ، يصير

(٢) في الأصل : بقيت . وهي خطأ ، بل إن كلمة بقيت مصححة تصحجها أخرى ،

بالضرب على نقطة النون (٣) زدتها للإيضاح

(٤) هكذا هذا الحرف في الأصل — ولا أهم معناه ، إلا أن يكون مختصراً لكلمة

أو ملأ فراغ (٥) في الأصل إليه

(٦) وصل فلان الشيء وصولاً ووصلة وصلة بلغه وانتهى إليه ، والوصلة الاتصال

أو ما يصل بين الشيئين (٧) في الأصل : العلم

والعجب من الإنسان كيف يهمل نفسه ويُبعدُها من بارئها ، وحالها هذه
الحالة الشريفة !!

وقد وصف أرسططاليس أمرَ الملك اليوناني الذي تخرج^(١) بنفسه ،
فكث لا يعيش ولا يموت أياما كثيرة ، كما أفاق أعلم الناس بفنون من علم الغيب ،
وحدثهم بما رأى من الأنفس والصور والملائكة ، وأعطاهم في ذلك البراهين ،
وأخبر [٧٤] جماعة من أهل بيته بعمر واحد واحد منهم ؛ فلما امتحن كل ما قال ،
لم يتجاوز^(٢) أحد منهم المقدار الذي حدّه له من العمر . وأخبر أن خسفا يكون
في بلاد الأوس^(٣) بعد سنة ، وسيل يكون في موضع آخر بعد سنتين ، فكان
الأمر كما قال .

وذكر أرسططاليس أن السبيل في ذلك أن نفسه إنما علمت ذلك العلم ،
لأنها كادت أن تفارق البدن ، وانفصلت عنه بعض الانفصال ، فرأت ذلك —
فكيف لو فارقت البدن على الحقيقة ! لكانت قد رأت عجائب من أمر الملكوت
الأعلى !

فقل^(٤) للباكين ، ممن طبعه أن يبكي من الأشياء الحزنة : ينبغي أن يبكي ويكثر
البكاء على من يهمل نفسه ، وينهك^(٥) من ارتكاب الشهوات الخفية الخسيسة
الذميمة الموهبة التي تكسبه الشرّة^(٦) ، وتميل بطبعه إلى طبع [٧٥] البهائم ،
ويدع^(٧) أن يتشاغل بالنظر في هذا الأمر الشريف والتخلص إليه ويطهر^(٨)
نفسه حسب طاقته ؛ فإن الطهر الحق هو طهر النفس ، لا طهر البدن ؛ فإن العالم
الحكيم المبرز المتعبد^(٩) لبارئيه ، إذا كان ملطخ البدن بأكامة^(١٠) ، فهو عند

(١) مصححة في الأصل بدون غلط إلا للجيم — وفي اللقمة : خرج أتم أو ضاق
صدره ؛ ونخرج من الأمر نأتم ، وحقيقته جانب المخرج أى الأتم . (٢) في الأصل : تجاوز
(٣) من بلاد اليونان طبعاً ، وكلمة : سيل ، بعد ذلك ، كما في الأصل .

(٤) في الأصل : فعل — وهو خطأ (٥) مهلك من العلم ، ونهك فيه = بالغ .

(٦) في الأصل : الشره ، بدون شكل ولذلك وجه . (٧) معارف على يهمل ونهك

(٨) معطوف على يتشاغل (٩) في الأصل : لتعبد — وهو جائز يتكاف .

(١٠) في الأصل : ناكاه — ولعلها تحريف عن كلمة دالة على شيء له الصفة التي عنها
الكلام وعلى كل حال فالسكّم ثبات يؤكل ، ومنه ما هو سم قائل

جميع الجهال : فضلا عن العلماء ، أفضل ^(١) وأشرف من الجاهل الملطخ البدن
بالمسك والعنبر ؛ ومن فضيلة المتعبد لله ، الذي قد هجر الدنيا ولذاتها الدنيئة ، أن
الجهال كلهم ، إلا من سخر ^(٢) منهم بنفسه ، يعترف بفضله ، ويحمله ، ويفرح
أن يطلع ^(٣) منه على الخطأ .

فيا أيها الإنسان الجاهل : ألا تعلم أن مقامك في هذا العالم إنما هو كلمحة ،
ثم تصير إلى العالم الحقيقي ، فتبقى فيه أبد الآبدين ! ؟ وإنما أنت عابر سبيل في
هذا الأمر ، إرادة باريك عز وجل | فقد عَلِمْتَهُ ^(٤) جَلَّةُ [٧٦] الفلاسفة
واختصرناه من قولهم إن النفس جوهرٌ بسيط .

فَتَفَهَّمْ ^(٥) ما كتبتُ به إليك تَكُنْ ^(٦) به سعيداً ، أسعدك الله تعالى
في دنياك وآخرتك !

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله أجمعين !

(١) في الأصل : وأفضل
(٢) في الأصل : يطلق
(٣) في الأصل : يطلق
(٤) غير مشكولة ، فيمكن ضبطها على نحو آخر
(٥) غير مضبوطة ولا متعومة قطاً كاملاً
(٦) في الأصل : يكن